



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

أوراق استراتيجية | 20 أيار/ مايو، 2024

الخيال مقابل الواقع: عملية طوفان الأقصى وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية

ورقة استراتيجية رقم 19

مهند سلوم

وحدة الدراسات الإستراتيجية

الخيال مقابل الواقع: عملية طوفان الأقصى وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية

سلسلة: أوراق استراتيجية

وحدة الدراسات الإستراتيجية

20 أيار/ مايو، 2024

مهند سلوم

أستاذ مساعد في برنامج الدراسات الأمنية النقدية في معهد الدوحة للدراسات العليا، وزميل مشارك بمرتبة الشرف في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة إكستر - المملكة المتحدة، وعضو هيئة تحرير دورية «الدراسات الاستراتيجية والبحوث السياسية» الصادرة عن جامعة تلمسان - الجزائر. تتركز اهتماماته البحثية في تحليل السياسات الحكومية الأمنية، ودراسات الاستخبارات، والدراسات العسكرية والاستراتيجية، ودراسات مكافحة التطرف العنيف والإرهاب. يعمل حاليًا على نشر مخرجات مشروعه البحثي مع مطبعة جامعة كامبريدج البريطانية بعنوان «تيارات المهد الخفية: تاريخ المخابرات العراقية»، الذي يدرس تاريخ المخابرات العراقية من بدايات القرن العشرين إلى عام 2021.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتمامًا لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحققها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعاين، قطر

هاتف: + 974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

4	مقدمة
4	أولاً: عُدوة 7 تشرين الأول / أكتوبر: تفاصيل العملية
6	ثانياً: أسباب الفشل الاستخباري
6	1. مصيدة التكنولوجيا الرقمية
8	2. الاستهانة بالخصم
9	3. إخفاق في فهم وتقدير دوافع وجود فصائل المقاومة الفلسطينية واستمرارها
10	4. العامل البشري
12	5. الارتباك الأمني والسياسي
14	خاتمة
16	المراجع

«علامة الذكاء الحقيقي ليست المعرفة، بل القدرة على الخيال».

ألبرت أينشتاين

مقدمة

سُيَسَجَّل فشل أجهزة الأمن الإسرائيلية في التنبؤ بهجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، الذي شنته فصائل المقاومة الفلسطينية، بأنه أكبر فشل استخباري في تاريخ إسرائيل. وتمثل عملية «طوفان الأقصى»، التي تقول إسرائيل إنه قُتل في يومها الأول ما يقارب 1200 إسرائيلي، حدثًا محوريًا في تاريخها، إلى درجة أن مسؤولين إسرائيليين قارنوها بمفاجآت استراتيجية، مثل هجمات 11 سبتمبر 2001 التي قام بها تنظيم القاعدة في الولايات المتحدة الأميركية، ومفاجأة هجوم 6 تشرين الأول/ أكتوبر 1973 الذي شنته مصر على إسرائيل؛ وهي هجمات أخذت الولايات المتحدة وإسرائيل على حين غرّة، وخلفت خسائر مادية وبشرية كبيرة¹. لقد تسببت عملية طوفان الأقصى في ما وصفه عزمي بشارة بـ «جرح نرجسي هائل» في إسرائيل، حولت شعور الأمن فيها إلى شظايا من الألم والقلق والخوف، تُرجمت تداعياته إلى سلسلة من ردات الفعل المتطرفة الإسرائيلية التي لم تنته فصولها حتى تاريخ كتابة هذه الورقة².

لكن، كيف تمكّنت فصائل المقاومة الفلسطينية، بإمكانياتها المحدودة، وتحت ضغط حصار خانق ومراقبة مستمرة، من إخفاء خطط معقدة وتدريبات ميدانية كهذه عن أنظار أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية التي تدّعي أنها الأقوى في العالم³؟ قبل أن ندرس ونحلل أسباب فشل المجتمع الاستخباري الإسرائيلي في كشف خطط ومناورات التدريب التي مهّدت لعملية طوفان الأقصى وما جاء بعدها، نعرض أولاً ما حدث في فجر يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

أولاً: غُدوة 7 تشرين الأول/ أكتوبر: تفاصيل العملية

عند الساعة الرابعة من فجر 7 تشرين الأول/ أكتوبر، جاءت الأوامر، مشافهةً، لمجموعة من مقاتلي النخبة في حركة المقاومة الإسلامية «حماس» بأن يتجمعوا في مناطق حُدّدت سلفاً خلال التدريبات التي سبقت تنفيذ عملية طوفان الأقصى⁴. وبعد ساعة تقريباً، أطلقت فصائل المقاومة الفلسطينية ما بين 2000 و3000

1 Uri Bar-Joseph & Avner Cohen, "How Israel's Spies Failed - and Why Escalation Could Be Catastrophic," *Foreign Policy*, 19/10/2023, accessed on 25/10/2023, at: <https://tinyurl.com/y9s2hhu9>

2 "حديث خاص مع المفكر العربي د. عزمي بشارة بشأن العدوان على غزة والأحداث في فلسطين"، العربي - أخبار، يوتيوب، 2023/10/23، شوهد في 2023/11/2، في: <https://tinyurl.com/2s4euyd7>

3 عمر عاشور، "تصاعد الفاعلية القتالية للتنظيمات المسلحة في العالم العربي وخارجه"، ورقة استراتيجية رقم 2، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/8/17، شوهد في 2024/5/11، في: <https://tinyurl.com/4kknrh5r>

4 Jason Burke, "A Deadly Cascade: How Secret Hamas Attack Orders were Passed down at Last Minute," *The Guardian*, 7/11/2023, accessed on 30/12/2023, at: <https://tinyurl.com/3afdfpt5>

صاروخ وقذيفة، وهي خليط من الصواريخ الطويلة المدى نسبياً والقذائف المحلية الصنع ذات دقة إصابة متدنية، لضرب أكبر عدد من الأهداف من خلال تحييد الدفاعات الجوية الإسرائيلية (القبة الحديدية، ومنجنيق داود، وغيرهما) التي لا يمكنها بأي حال إسقاط أكثر من ثلاثة آلاف صاروخ وقذيفة، صُوِّبَت في آن واحد إلى مناطق تسيطر عليها إسرائيل⁵. وتطلّب إطلاق هذا العدد الكبير من الصواريخ والقذائف، حتماً، تنسيقاً فنياً وسريّة استثنائية، لنقلها ونصبها وتوجيهها قبل إطلاقها، لم تتمكن أجهزة إسرائيل الاستخباراتية من كشفها أو التنبؤ بها.

من ثم جاء الهجوم البري لاخترق ما سمّاه وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق، بيني غانتس، الجدار الحديدي على الحدود مع غزة؛ الهجوم الذي قاده قوة أولية قوامها 400 مقاتل تقريباً من القوات الخاصة لحركة حماس، تبعها قوة مسلحة تعدادها بين 1000 و1500 مقاتل، استخدموا المتفجرات والجرافات لإحداث ما بين 20 و30 نقطة خرق في الجدار الفاصل بين المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل وقطاع غزة في اتجاه إسرائيل. هذا الجدار هو الذي اعتقدت إسرائيل أنه منيع، والذي أُطلق عليه «الجدار الحديدي»⁶. وفي الوقت نفسه، هوجمت أبراج المراقبة بطائرات من دون طيار، وحلقت وحدات الطيران الشراعي لفصائل المقاومة الفلسطينية فوق الأسوار، وحاولت فرق الاقتحام في القوارب السريعة الوصول إلى شواطئ المستوطنات الإسرائيلية⁷. وعلى الرغم من أن عمليات وحدات الطيران الشراعي وفرق الاقتحام البحرية كانت محدودة، فإن فاعليتها المعنوية والرمزية كانت كبيرة. تعمّدت فصائل المقاومة نشر مواد فيلمية بعد أيام فحسب من انطلاق عملية طوفان الأقصى، تُظهر لقطات تنفيذ العملية، وذلك لمضاعفة أثر العملية النفسي في إسرائيل، ورفع معنويات مقاتليها وقاعدتها الشعبية الفلسطينية والعربية والإسلامية، إضافة إلى تقويض ادّعاء أجهزة الأمن الإسرائيلية بأنها الأقوى في المنطقة، ومن بين الأقوى في العالم⁸.

كان من المستحيل تجميع الكثير من المواد لمثل هذا الهجوم الواسع، ووجود عدد من المقاتلين الذين يتجمعون على الحدود من دون أن ترصدتهم كاميرات ورادارات المراقبة المثبتة على الجدار الحديدي فائق التطور التكنولوجي فوق الأرض وتحتها⁹. وفي هذا السياق، يُذكر أن كثيراً من أعضاء المكتب السياسي في حركة حماس قالوا إنهم فوجئوا بسهولة توغل المقاتلين إلى عمق المستوطنات الإسرائيلية المداخية لقطاع غزة. وهذا ما أكده القيادي في حماس، علي بركة، للصحافيين بقوله: «فوجئنا بهذا الانهيار الكبير. كنا نخطط لتحقيق بعض المكاسب وأخذ أسرى لمبادلتهم. كان هذا الجيش نمرًا من ورق»¹⁰.

عند دراسة البُعد التكتيكي لعملية طوفان الأقصى، التي استهدفت منطقة جغرافية واسعة نسبياً، تضم نحو 50 مستوطنة في ما يسمى مستوطنات غلاف غزة، وبعمق 40 كلم تقريباً في الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل، يمكن أن نستنتج أن القوة المهاجمة لم تخطط لمسك الأرض. على العكس، تشير المعلومات المتاحة إلى عملية نوعية (فنية ومغاوير)، هدفها تحييد فرقة غزة المتمركزة في معسكر ريعيم، وأخذ عدد من

5 Daniel Byman et al., " Hamas's October 7 Attack: Visualising the Data," The Center for Strategic and International Studies (CSIS), 19/12/2023, accessed on 29/12/2023, at: <https://tinyurl.com/4jw7bpmm>

6 "Israel Completes 'Iron Wall' Underground Gaza Barrier," *Aljazeera*, 7/12/2021, accessed on 3/5/2024, at: <https://tinyurl.com/53kerjsj>; Byman et al. من الجدير بالذكر أن المتحدث باسم كتائب الشهيد عز الدين القسام، أبو عبيدة، أكد أن حماس كانت قد حشدت واستدعت 3000 مقاتل لعملية المناورة، و1500 مقاتل لعملية الإسناد. ينظر: "أبو عبيدة: خطة دقيقة لطوفان الأقصى ... 3 آلاف مقاتل للمعركة و1500 للدعم والإسناد"، *الجزيرة*، 2023/10/13، شوهد في 2023/11/20. <https://tinyurl.com/5xaayztr>

7 Jon Swaine et al., "How Hamas Exploited Israel's Reliance on Tech to Breach Barrier on Oct. 7," *The Washington Post*, 17/11/2023, accessed on 15/12/2023, at: <https://tinyurl.com/yr6mktaw>

8 "القسام تبث مشاهد حصريّة لسرب 'صقر' إحدى الوحدات العسكرية المشاركة بعملية طوفان الأقصى"، قناة الجزيرة، يوتيوب، 2023/10/7، شوهد في 2023/10/10. <https://tinyurl.com/28uynz2s>

9 Swaine et al.

10 Bassem Mroue & Sarah El Deeb, "Hamas Official Says Iran and Hezbollah had no Role in Israel Incursion, but they'll Help if Needed," *AP News*, 10/10/2023, accessed on 18/12/2023, at: <https://tinyurl.com/4hcd6v9>

الأسرى لمبادلتهم لاحقاً بالأسرى الفلسطينيين لدى إسرائيل، والحصول على معلومات استخبارية من مقر الفرقة التي تُعد رأس حربة الجهاز الأمني الإسرائيلي الموجهة إلى غزة¹¹. وتدل مؤشرات عديدة على أن أهداف عملية طوفان الأقصى الأولية كانت محدودة. ففي اليوم الثاني للعملية، نفذت فصائل المقاومة عمليات تسلل جديدة عبر الجدار الفاصل في ما بين قطاع غزة والمناطق التي تسيطر عليها إسرائيل لتعزيز مقاتليها في بؤر الاشتباكات بالمقاتلين والعتاد في مستوطنات الغلاف: صوفا وحوليت ويتد، وغيرهما¹². هذا يعني أن الخطط الأولية لم تضع في حساباتها الاستحواذ على الأرض في أي من مدن الغلاف. لكنّ الفصائل تعمّدت إبقاء عدد من المقاتلين في مستوطنات الغلاف، لإشغال القوات الأمنية الإسرائيلية، لتأخير الرد بهجوم مباغت داخل القطاع. وشاغل بقاء هذا العدد المحدود من المقاتلين، في مناطق غلاف غزة، تلك القوات أياً ما عديد، في سعيها لتأمين هذه المناطق. منحت هذه الفترة فصائل المقاومة هامشاً زمنياً كافياً، تقريباً سبعة أيام، لتأمين أسراها الإسرائيليين ومحاولة تنظيم الصفوف قبل الهجوم المعاكس لقوات الاحتلال الإسرائيلي¹³.

ربما من المبكر جداً تقييم البعدين الاستراتيجي والتكتيكي لعملية طوفان الأقصى، لكن فصائل المقاومة كان في إمكانها مسك الأرض وتوظيف التحصينات الإسرائيلية في مدن الغلاف لإطالة أمد المعركة هناك؛ وبهذا تنقل ساحة المعركة إلى داخل مناطق غلاف غزة، بصفة مؤقتة على الأقل، بدلاً من نقل المعركة إلى قطاع غزة لمواجهة القوات الإسرائيلية المهاجمة هناك، حيث المدنيون وعوائل المقاتلين¹⁴.

بالنظر في ادّعاءات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي بأنه الأفضل في العالم، فمن المذهل أن خططاً بهذا الحجم لم تلفت القائمين على إدارة المصادر الفنية والبشرية في غزة التي تُعدّ واحدةً من أكثر الأماكن التي تخضع للمراقبة الفنية والبشرية المستمرة على وجه الأرض. ومع ذلك جرى تجاهل جميع المؤشرات التي تدل بوضوح على أن هنالك خطة اقتحام وشيكة كان من المحتمل اكتشافها¹⁵.

ثانياً: أسباب الفشل الاستخباري

على الرغم من أن عملية طوفان الأقصى والعمليات العسكرية الانتقامية الإسرائيلية ما زالت مستمرة، وما زالت المعلومات المتعلقة بما حدث في 7 تشرين الأول / أكتوبر 2023 غير مكتملة، فإنه يمكن الاسترشاد بعدد من الأسباب البنيوية المترابطة والأخطاء الفردية التي يمكن أن تفسر فشل إسرائيل الاستخباري في ذلك اليوم.

1. مصيدة التكنولوجيا الرقمية

ما سُمّي الجدار الحديدي على الحدود مع غزة هو في حقيقته جدار تقليدي، لكنه مزوّد برادارات وحساسات يمكنها اكتشاف أي خرق، حتى لو كان تحت الأرض؛ وهو مُعزّز بالكاميرات والروبوتات والبنادق الآلية التي تعمل عن بعد لتدافع عنه، وتراقب بصفة آلية أي حركة بالقرب منه. وفي الجو، توفر البالونات الهوائية رؤية «عين الطائر»، حيث تجري مراقبة كل شيء في الوقت الفعلي، ويجري إرساله إلى المشغّلين وغرف

11 "نقطة الصفر ... كيف خطت وبدأت كتاب القسام 'طوفان الأقصى'؟"، قناة الجزيرة، يوتيوب، 2023/10/8، شوهد في 2023/10/25، في: <https://tinyurl.com/49n6k3r8>

12 "مصادر إسرائيلية: 400 - 500 مسلح فلسطيني يقاتلون في غلاف غزة"، سكاي نيوز عربية، 2023/10/9، شوهد في 2023/10/21، في: <https://tinyurl.com/3r7vh35x>

13 المرجع نفسه.

14 ينظر: مداخلة عمر عاشور في ندوة: "الحرب على غزة: منظورات عسكرية واستخباراتية وإقليمية"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023/11/26، شوهد في 2024/5/11، في: <https://tinyurl.com/3sppfvej>

15 Matt Burgess & Lily Hay Newman, "Israel's Failure to Stop the Hamas Attack Shows the Danger of Too Much Surveillance," *WIRED*, 8/10/2023, accessed on 2/11/2023, at: <https://tinyurl.com/364vhnk8>

التحكم¹⁶. استغرق بناء هذا الجدار والتكنولوجيا المتقدمة المساندة له ثلاث سنوات، وكلف مليارات الشواكل، وكان قد جاء ردًا على توغلات حماس في إسرائيل عبر شبكة من الأنفاق في عام 2014¹⁷، لكنه أيضًا جزء من توجه أوسع في الجيش الإسرائيلي نحو احتضان التكنولوجيا الأمنية، رديفًا، وفي أحيان بدليًا من القوات على الأرض وتعزيز تكامل المراقبة التكنولوجية المتقدمة مع الاستراتيجية الأمنية الإسرائيلية¹⁸. ومع تناقص خطر حدوث هجوم على طراز حرب 6 تشرين الأول/أكتوبر 1973، توجّهت قوات الأمن الإسرائيلية في العقود الأخيرة نحو تبني استراتيجيات تمكّنها من هزيمة، أو احتواء، الجماعات المسلحة ما دون الدولة، مثل فصائل المقاومة الفلسطينية وحزب الله اللبناني. في الممارسة العملية، هذا يعني استثمارًا كبيرًا في القدرات الاستخبارية ورقمنة الحرب، بدلًا من عديد القوات التقليدية¹⁹. لكنّ هذا التوجه أدّى إلى تقليص عدد الضباط غير المفوضين في الجيش الإسرائيلي على مدى السنوات العشر الماضية²⁰.

كانت الحدود جزءًا من هذا التحوّل التكنولوجي العسكري؛ وهي طريقة لاستغلال قدرات إسرائيل التكنولوجية المتقدمة لإنشاء جدار قادر على الدفاع عن نفسه²¹. وهذا يُفسّر جزئيًا عدم وجود عدد كافٍ من العناصر الأمنية على الحدود مع غزة، في فجر 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023²². فقد اعتمد الجدار على الأبراج الخلوية التي شكلت العمود الفقري لنظام المراقبة، مستغنيًا إلى حدٍ كبير عن عناصر المراقبة البشرية. ووفقًا لما ذكره مسؤولون إسرائيليون، وما صرّحت به فصائل المقاومة، كانت الخطوة الأولى للقوة المهاجمة هي استخدام الطائرات من دون طيار لمهاجمة أبراج الحدود وتدميرها، فجعلتها غير قادرة على نقل الإشارات أو استقبالها، فأصبح النظام الذكي أعمى؛ ذلك أن المجسّات التي وظيفتها الإنذار المبكر فشلت في الإبلاغ عن الاختراقات. ولم يتمكّن الجنود في غرف التحكم من مراقبة الهجوم عبر الكاميرات، لأنها حُيّدت²³.

مع تحييد ميزة التقدم التكنولوجي لقوات الأمن الإسرائيلية، لم تكن هنالك حاجة إلى أي شيء أكثر تقنية من الجرافات والمتفجرات التي استخدمتها فصائل المقاومة لخرق الجدار (الحديدي) وتحطيمه. كان الطرف الإسرائيلي غير مستعد لهجوم أرضي تقليدي، وتفاجأ الذين يراقبون الجدار ذا القدرات التكنولوجية المتقدمة، تمامًا، بالهجوم؛ لأنّ حسّاسات المراقبة وكاميراتها وبالوناتها لم تبلغهم بالخرق الذي حدث²⁴. ومع ذلك، لم يقتصر أثر الرقمنة الأمنية على الحدود مع قطاع غزة فحسب، بل إن الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا جعل الدولة بطيئة ومتراخية²⁵. ومع أن نظام الدفاع الصاروخي جيّد جدًّا في إسقاط العشرات من الصواريخ، فيبدو أنه ما من أحد في أجهزة الأمن الإسرائيلية كان مستعدًا لفكرة أن وابلًا من آلاف الصواريخ والقذائف يمكن أن يغمره تمامًا ويُحيّد فاعليته الدفاعية. وهذا يثير الاستغراب، خصوصًا أن هذه الأجهزة تدّعي أنها الأقوى والأعلى جَرفية في المنطقة.

16 Samuel Granados et al., "How Hamas Breached Israel's 'Iron Wall,'" *The Washington Post*, 10/10/2023, accessed on 17/12/2023, at: <https://tinyurl.com/429xw4vb>

17 Aron Heller, "Watchdog: Tunnels Caught Israel off-guard in 2014 Gaza War," *AP News*, 28/2/2017, accessed on 13/12/2023, at: <https://tinyurl.com/4vz6pek>

18 Matti Friedman, "Israel Is Dangerously Dependent on Technology," *The Atlantic*, 13/12/2023, accessed on 14/12/2023, at: <https://tinyurl.com/7ptbw4sx>

19 Avi Kober, "From Heroic to Post-Heroic Warfare: Israel's Way of War in Asymmetrical Conflicts," *Armed Forces & Society*, vol. 41, no. 1 (2015), p. 98.

20 Yaniv Kubovich, "Israeli Army Officials Report 'Disturbing' Decline in Combat Reservists Showing Up for Duty," *Haaretz*, 22/3/2023, accessed on 2/12/2023, at: <https://tinyurl.com/dmb8ct22>

21 يارا نصار، "خلف خطوط العدو: الفاعلية القتالية لعمليات تسلل كتائب القسام في قطاع غزة"، ورقة استراتيجية رقم 13، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024/1/8، شوهد في 2024/5/11، في: <https://tinyurl.com/bdm7vnw6>

22 Scott Neuman, "What did Hamas Aim to Gain by its Brazen Attack on Israel? Here's what to Know," *NPR*, 12/10/2023, accessed on 29/11/2023, at: <https://tinyurl.com/4rcf985v>

23 Granados et al.

24 أحمد قاسم حسين، "كيف سيطرت كتائب القسام على 'فرقة غزة'؟ الأداء القتالي للمقاومة الفلسطينية ومعزلات العمل العسكري الإسرائيلي البري"، تقييم حالة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023/10/29، شوهد في 2024/5/11، في: <https://tinyurl.com/47cuart6>

25 Seth J. Frantzman, "New Tech Plays Role in Gaza War, but not to Level Israel Once Envisioned," *Breaking Defense*, 13/11/2023, accessed on 28/12/2023, at: <https://tinyurl.com/5n6kee82>

في الجانب الاستخباري، كانت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية واثقةً جدًا من قدرتها على مراقبة الشبكات الإلكترونية ومصادر الإشارة، إلى درجة أنها بدت كأنها نسيّت أن التواصل والمحادثات يمكن أن تجري شفويًا في الحياة الواقعية. في الشهور التي سبقت الهجوم، كانت المحادثات التي تنصت عليها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية لاسلكيًا، في غزة، تشير إلى أن فصائل المقاومة ليس لديها رغبة في حرب أخرى مع إسرائيل. لكن من الواضح أن تلك المحادثات نظمها عناصر الاستخبارات في فصائل المقاومة الذين كانوا يعلمون يقينًا أن سلاح الإشارة في أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية يتجسس على هذه المحادثات²⁶. في هذه الأثناء، تخلّى قادة فصائل المقاومة عن هواتفهم الخلوية وأجهزة الحاسوب، وطوّروا خططهم من خلال المحادثات وجهًا لوجه في غرف محمية من التنصت الفني والإلكتروني، إضافة إلى استخدام الهواتف المربوطة سلكيًا تحت الأرض عبر الأنفاق²⁷.

تروّج قوات الأمن الإسرائيلية نظرية، تسعى لتفسير فشلها الاستخباري في الكشف المبكر عن تحضيرات عملية طوفان الأقصى، مفادها أن فصائل المقاومة الفلسطينية خطت وتواصلت ونفذت العملية باستخدام ما يطلقون عليه «مترو غزة»، بالإشارة إلى سلسلة الأنفاق التي حفرتها الفصائل تحت مدينة غزة وعدد من مدن الغلاف²⁸، وأن عددًا من المقاتلين كانوا مختبئين في الأنفاق حتى قبيل تنفيذ العملية²⁹.

هذا يفسر جزئيًا، فحسب، عدم قدرة أجهزة الأمن الإسرائيلية على التنبؤ بالهجوم، ويُبقى أسئلة عديدة معلقة بلا جواب، من قبيل: لماذا فشلت مصادر إسرائيل البشرية في الحصول على معلومات عن الهجوم؟ أكانت المصادر البشرية في غزة مكشوفة أمام أجهزة استخبارات فصائل المقاومة، أم أنها مصادر مزدوجة نقلت معلومات مضللة إلى إسرائيل، لمصلحة فصائل المقاومة؟ لماذا اختارت أجهزة الأمن الإسرائيلية تجاهل تحذيرات أجهزة الاستخبارات الأميركية والمصرية بشأن إمكانية حدوث هجوم وشيك على إسرائيل؟³⁰ لماذا استهانت إسرائيل بقدرة فصائل المقاومة على شن هجوم بهذا الحجم؟³¹ كيف تمكّنت فصائل المقاومة من إجراء تدريبات تحاكي عملية طوفان الأقصى في مناطق مكشوفة من دون إثارة شكوك أجهزة الأمن الإسرائيلية؟ وغير ذلك من التساؤلات المنطقية.

2. الاستهانة بالخصم

كانت أجهزة الأمن الإسرائيلية تعتمد اعتمادًا مفرطًا على تكنولوجيا وطرائق التجسس الفنية المتقدمة، لكنها لم تتخلّ تمامًا عن الطرائق التقليدية في جمع المعلومات الاستخبارية من المصادر البشرية. وفي الوقت نفسه، لم تفشل الوسائل الفنية فشلًا كاملًا؛ إذ كانت تُشير على نحو واضح ومنطقي إلى إمكانية حدوث هجوم على أهداف إسرائيلية، فقد رصدت (صور الأقمار الصناعية، والصور الجوية، وجهاز الإشارة) تحركات فصائل المقاومة الفلسطينية وتدريباتها قبل شهور من تنفيذ العملية³². لكن يبدو أن الخطأ الرئيس الآخر

26 Peter Martin, Katrina Manson & Henry Meyer, "Explained | How Hamas got around Israeli Surveillance," *Deccan Herald*, 11/10/2023, accessed on 21/11/2023, at: <https://tinyurl.com/yk7xauks>

27 "ملف خاص: القسام خلال ثلاثين عامًا"، الميدان [مجلة دورية تصدر عن كتائب الشهيد عز الدين القسام]، العدد 3 (كانون الأول/ ديسمبر 2017)، ص 4 - 5.

28 مجد أبو عامر، "قتال الأشباح: الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية تجاه أنفاق المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة"، ورقة استراتيجية رقم 11، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023/11/30، شوهد في 2023/5/11، في: <https://tinyurl.com/3ah9fv8r>

29 Pamela Brown & Zachary Cohen, "Hamas Operatives Used Phone Lines Installed in Tunnels under Gaza to Plan Israel Attack over 2 Years, Sources Familiar with Intelligence Say," *CNN*, 25/10/2023, accessed on 20/11/2023, at: <https://tinyurl.com/4ux4n9m8>

30 "رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكي: مصر حذرت إسرائيل قبل أيام من ضرب حماس"، بي بي سي عربي، 2023/10/12، شوهد في 2023/10/20، في: <https://tinyurl.com/mrxvdcscr>

31 Omar Ashour, "'We Scorned Them': The Military, Political and Human Costs of Israeli Hubris," *Al-Jazeera*, 24/4/2024, accessed on 11/5/2024, at: <https://tinyurl.com/3ekfpc5z>

32 Shira Silkoff, "Surveillance Soldiers Warned of Hamas Activity on Gaza Border for Months before Oct. 7," *Times of Israel*, 26/10/2023, accessed on 18/11/2023, at: <https://tinyurl.com/ycdj6td>

الذي ارتكبته جميع أجهزة الأمن الاسرائيلية كان خطأً كلاسيكياً في علم النفس البشري؛ خطأً أدى إلى خراب الأمم والجيش منذ أن قاتلت القبائل البشرية الأولى بعضها بعضاً قبل التاريخ – ألا وهو الاستهانة بالعدو³³.

قبل أيام من الهجوم، ذكرت صحيفة **هاآرتس** أن تقييماً استخبارياً أكد أن فصائل المقاومة في غزة تريد تجنب حرب شاملة مع إسرائيل، ولا تريد المخاطرة بالإنجازات السابقة التي تحسنت من خلالها حياة سكان غزة والوضع الاقتصادي للفصائل³⁴. من منظور مادي بحت، قد يبدو هذا منطقياً تماماً. بعد الحرب في غزة، في عام 2021، ادعت الحكومة الإسرائيلية أنها اتخذت قراراً لدعم استقرار الوضع الاقتصادي في القطاع، وتقديم «الجزرة بدلاً من العصا» لردع المزيد من الهجمات، وذلك بتوزيع عشرات الآلاف من تصاريح العمل لسكان غزة، البالغ عددهم أكثر من مليوني نسمة، وهي تصاريح تسمح لهم بعبور الحدود إلى إسرائيل لشغل وظائف برواتب تزيد بعشرة أضعاف على كانت عليه في فترة ما قبل إغلاق الحدود مع غزة³⁵. وبحسب أحد الحسابات، فإن الأموال التي جلبت إلى القطاع كانت تحسّن حياة 100 ألف شخص³⁶. مع الصورة الاقتصادية الواضحة، كانت تقديرات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية تُرجّح أن إرادة فصائل المقاومة الفلسطينية، تحديداً حماس، كانت المحافظة على مكاسبها. وقد تصرّفت حماس بالفعل بهذه الطريقة بين عام 2021 و7 تشرين الأول/أكتوبر 2023. فقد امتنعت عن شن هجمات حتى مع استمرار حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين في إطلاق الصواريخ على إسرائيل خلال تلك الفترة³⁷. كان تركيز حماس الجديد على الاقتصاد مقنعاً إلى درجة أن بعض مؤيديها انتقدوها، لأنها أصبحت ليئة، كما عبّر عن ذلك مسؤول إسرائيلي مجهول لصحيفة **ديلي تلغراف**، بقوله: «لقد جعلونا نعتقد أنهم يريدون المال فحسب»³⁸. لا شك في أن التاريخ مليء بأمثلة على جماعات مسلحة ومقاتلين تخلّوا طواعية عن أسلحتهم، في مقابل محفّزات مالية واقتصادية وسياسية، أو جرى حلّها بعد اتفاقيات السلام أو هزيمة عسكرية³⁹. لكن ما لم تدركه أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية هو أن فصائل المقاومة الفلسطينية تختلف اختلافاً كبيراً عن الكثير من الجماعات المسلحة الأخرى، من حيث العقيدة والأهداف وتاريخ صراع التحرر الفلسطيني.

3. إخفاق في فهم وتقدير دوافع وجود فصائل المقاومة الفلسطينية واستمرارها

وصف الفريق المتقاعد يعقوب عميدور، المستشار الأسبق للأمن القومي لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ورئيس مجلس الأمن القومي (نيسان/ أبريل 2011 - تشرين الأول/ أكتوبر 2013)، الهجوم بأنه يمثل «فشلاً ضخماً في نظام الاستخبارات والجهاز العسكري في الجنوب»، وأن بعض حلفاء إسرائيل كانوا يقولون إن حماس قد أصبحت تتصرف بمسؤولية أكبر، في إشارة إلى تقارير استخبارية من دول حليفة لإسرائيل، مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، ملقياً اللوم جزئياً على دول صديقة لإسرائيل كانت تضغط عليها للتعامل مع حماس باعتبارها فاعلاً سياسياً في مرحلة الانتقال من السلاح إلى السلام⁴⁰.

33 Lao Tzu, "There is no Greater Danger than Underestimating your Opponent," in: Tao Teh Ching & Hua Hu Ching, *The Complete Works of Lao Tzu*, Taoist Master NI, Hua-Ching Ni (trans.), revised ed. (Los Angeles: Sevenstar Communications, 1995).

34 Yaniv Kubovich, "Gaza Groups Don't Want War, Israel Assesses, but Al-Aqsa Tensions Could Boil Over 'At Any Moment'," *Haaretz*, 18/4/2022, accessed on 1/11/2023, at: <https://tinyurl.com/2ra8xmm9>

35 Neri Zilber, "Israel and Gaza Keep Up Their Precarious Dance," *The Washington Institute for Near East Policy*, 9/8/2022, accessed on 2/11/2023, at: <https://tinyurl.com/3jd2mbkf>

36 "حقائق وأرقام ... العمال الفلسطينيون في إسرائيل (تقرير)", وكالة الأناضول، 2023/12/12، شوهد في 2024/1/29، في: <https://tinyurl.com/3aycde6b>

37 Samia Nakhoul & Jonathan Saul, "How Hamas Duped Israel as it Planned Devastating Attack," *Reuters*, 10/10/2023, accessed on 12/11/2023, at: <https://tinyurl.com/msskx4hy>

38 Ibid.

39 عمر عاشور، "من السلاح إلى السلام: التحوّلات من العمل السياسي المسلّح إلى العمل السياسي السلمي"، ورقة استراتيجية رقم 1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/8/13، شوهد في 2024/5/11، في: <https://tinyurl.com/3ffx7w8c>

40 Nakhoul & Saul.

مع ذلك، تجاوزت النقاط العمياء في الاستخبارات مجرد التفكير في أن فصائل المقاومة الفلسطينية، وتحديدًا حماس، تخلت عن العمل العسكري، في مقابل امتيازات اقتصادية وسياسية. امتزجت هذه الرغبة في تصديق السيناريو الأفضل، على نحو قاتل، مع افتراض خطر آخر يربى أن حماس كانت ضعيفة للغاية، إلى درجة أنها لا تُشكّل تهديدًا⁴¹. كانت أسماء مثل «الشاباك» و«الموساد» تروج لنفسها بأنها من بين أقوى أجهزة الاستخبارات في العالم⁴². وبدت هذه الأجهزة كأشباح قادرة على اغتيال قادة فصائل المقاومة في غزة وخارجها، وهم نائمون في فرُشهم، وعلى تدمير الأنفاق تحت الأرض بلا سابق إنذار، وعلى أنها تسيطر سيطرة كاملة على المسرح الاستخباري في جميع أنحاء فلسطين⁴³.

مع تزايد اقتناع الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بعدم قابليتها للهزيمة، يبدو أنها فقدت في الوقت نفسه أي احترام لمهارات فصائل المقاومة، إلى الحد الذي مكّن الفصائل من أن تُجري تدريباتها لعملية 7 تشرين الأول/ أكتوبر علنًا، ويجري تجاهلها باعتبارها ليست سوى تدريبات للاستهلاك الداخلي⁴⁴. ونحن نعني هنا «علنًا» بالفعل، فقد ذكرت مصادر صحافية عديدة، ونشرت فصائل المقاومة لقطات تدريبية تُثبت أنها بنت مستوطنة إسرائيلية مزيفة في غزة لتدريب المهاجمين. وفي الوقت نفسه، بدأ مقاتلون آخرون بالتدرب على استخدام الطائرات الشراعية للانقضاض على المناطق المأهولة، وبدء إطلاق النار بصفة متزامنة مع الهجومين البري والبحري، وتدرّب آخرون على أخذ الرهائن وإطلاق الصواريخ⁴⁵. والفكرة القائلة بأن أجهزة الأمن الإسرائيلية لم تكن على علم بهذه التمارين هي فكرة ساذجة. فعلى الأرجح أنهم رأوها وقارنوا التمارين بالمعلومات الاستخباراتية المتوافرة التي تفيد بأن حماس لن تهاجم، وقرروا أن التدريب كان مجرد عرض، أو حيلة دعائية، ولا شيء أكثر.

من الواضح أن أجهزة الأمن الإسرائيلية لم تتخيل، أولاً وقبل كل شيء، أن فصائل المقاومة الفلسطينية قادرة على التخطيط لهجوم بهذا الحجم والتعقيد. وهذا يعكس احتقارًا تامًا للخصم. وبشبه هذا التوصيف، إلى حد كبير، تقرير لجنة 11 سبتمبر الذي وجد أن «فشل الخيال» كان العامل الأكثر أهمية في عدم أخذ إشارات التحذير من هجوم وشيك على محمل الجد⁴⁶. يبدو الآن أن القصة نفسها تكررت في إسرائيل، مثلما حدث في الولايات المتحدة في عام 2001، فهي مقتنعة جدًا بقوتها، إلى درجة أنها لم تول اهتمامًا كبيرًا لفصائل المقاومة التي خطت ونفذت عملية اجتياح خاطفة في قلب مدن غلاف غزة أمام أعين أجهزة الأمن الإسرائيلية وأنظارتها. وكما حدث في 11 سبتمبر 2001، لا يمكن إلقاء اللوم على كارثة بهذا الحجم على الثقة الزائدة والاعتماد المضّر على التكنولوجيا فحسب، بل كانت هناك عوامل أخرى متعددة، أدت دورًا مهمًا في هذا الفشل الاستخباري، من بينها الكفاءة الفردية المتدنية لعدد من عناصر أجهزة الأمن الإسرائيلية، في المقابل كفاءة أجهزة الأمن التابعة لفصائل المقاومة ومهنتها، مع جرعة من سوء الحظ الشديد الإسرائيلي، وغيرها من العوامل التي اجتمعت لتكوين عاصفة الفشل المثالية هذه.

4. العامل البشري

عند كتابة بحث تحليلي نقدي لدراسة أسباب أي فشل أمني، من السهل التركيز على المشكلات البنيوية فحسب لمحاولة استجواب الصورة الأكبر وعدم الاهتمام بالتفاصيل. ومع ذلك، أظهر التاريخ مرارًا وتكرارًا أن الأخطاء الأمنية الكبرى يمكن أن تعتمد على قرارات شخصية تبدو غير مهمة وصغيرة. لو أن الأرشيدوق

41 " Hamas Doesn't Want War with Israel, Intelligence Officials Say," *i24 News*, 18/4/2022, accessed on 13/11/2023, at: <https://tinyurl.com/nhkyx3x>

42 Admir Barucija, "The Historical Evolution of Israeli Intelligence," *American Intelligence Journal*, vol. 37, no. 1 (2020), pp. 178 - 182.

43 Gili Cohen, "Shin Bet and Mossad Budget Approaches \$2 Billion," *Haaretz*, 9/6/2014, accessed on 12/11/2023, at: <https://tinyurl.com/y5t228uk>

44 Uri Bar-Joseph, "Israel's Deadly Complacency Wasn't Just an Intelligence Failure," *Haaretz*, 11/11/2023, accessed on 15/11/2023, at: <https://tinyurl.com/2yeva54a>

45 Nakhoul & Saul.

46 David L. Hoover, "A Failure of Imagination in the U.S. Intelligence Community," *American Intelligence Journal*, vol. 31, no. 1 (2013), pp. 59 - 71.

النمساوي فرانز فرديناند لم يأمر سائقه بالعودة مروراً بمكان محاولة اغتيال سابقة في سراييفو، لما حدثت الحرب العالمية الأولى⁴⁷. يبدو أن هذا كان صحيحاً على الأقل جزئياً في فشل إسرائيل الاستخباري في 7 تشرين الأول/أكتوبر. على المستوى الفردي، اتخذ الأفراد قرارات وارتكبوا مخالفات لم تكن مدمرة بمفردها، لكن عندما تجتمع معاً، تكون عوامل مساعدة مهمة في فشل إسرائيل الاستخباري. من بين هذه العوامل ربما كان الأعظم هو الإنذار الذي كشفت عنه صحيفة **هآرتس**، والذي جرى إرساله قبل بدء الهجوم مباشرة⁴⁸. بعد ملاحظة نشاطات خارجة عن المألوف في غزة، أرسل عناصر الاستخبارات الإسرائيلية تحذيراً إلى الجنود على الحدود، قبل أن تبدأ عملية طوفان الأقصى. لكنهم لم يتصرفوا بناءً على التحذير، وجرى تجاهله؛ إما لأنهم لم يتلقوا التحذير، وإما لأنهم لم يقرؤوه في الوقت المناسب بسبب التشويش الإلكتروني الذي تعرّضت له شبكة الاتصالات قبيل بدء العملية. وفي الوقت نفسه، أرسل الجنود من الجدار الحديدي مع غزة معلومات استخبارية إلى أجهزة الأمن، تفيد بوجود حركة مريبة تتطلب إرسال دعم إضافي⁴⁹. لكن حتى الآن لم تجر تحقيقات في خصوص هذه الادعاءات. قرارات تبدو صغيرة، لكن، تبيّن لاحقاً أنها ذات عواقب وخيمة.

وهذا إضافة إلى قرارات أخرى، تثير تساؤلات عن مدى جرفية أجهزة الأمن والقوات المسلحة الإسرائيلية، مثل تجميع الضباط الكبار من الجيش الإسرائيلي معاً في قواعد عسكرية معدودة، بالقرب من الحدود مع غزة، وتحديدًا في فرقة غزة، حيث كان عدد الضباط الموجودين في الفرقة كبيراً حينما اقتحم مقاتلو فصائل المقاومة مقر الفرقة في صبيحة 7 تشرين الأول/أكتوبر. عدد كبير من هؤلاء الضباط، وبحسب ما أظهرت التقارير والوثائقيات الصحافية والفيديوهات التي نشرتها أذرع حماس الإعلامية، قتلتهم وحدات مغاوير فصائل المقاومة، إما في باحات المعسكرات، وإما في فرّشهم. وكانت الأسلحة والمدركات في مخابئها لم تتحرك، وهذا دليل على أنه لم يكن لدى الفرقة أي علم بوجود هجوم داهم. وبهذا قطع مقاتلو الفصائل فعلياً رأس قيادة فرقة غزة وعددًا من الفرق الأخرى. والنتيجة كانت أن جميع الضباط الكبار في فرقة غزة والمنطقة القريبة من الجدار الحديدي قُتلوا أو خُطفوا في الساعات الأولى من عملية طوفان الأقصى⁵⁰. وهذا يفسر جزئياً العجز عن تنسيق ردات أفعال متماسكة في الساعات الأولى لهجوم فصائل المقاومة على مدن غلاف غزة. وهذا أيضًا يوضح الأخطاء المتتالية التي كانت ضرورية لحدوث فشل استخباري متسلسل ومترايط بهذا الحجم.

امتدت هذه السلسلة من القرارات والممارسات البشرية الخاطئة، وغير المهنية، إلى الحكومة نفسها. فقد اتهمت صحيفة **هآرتس** نتنياهو بالسماح لحماس بالبقاء في السلطة في غزة لتكون ضدًا نوعيًا موازناً لحركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» التي تراها إسرائيل أكثر اعتدالاً، والتي تحكم الضفة الغربية. ووفقاً لمصادر الصحيفة، ادّعى نتنياهو علناً، في اجتماع لحزب الليكود في عام 2019، أن «أي شخص يريد منع إقامة دولة فلسطينية يجب أن يدعم تعزيز حماس ونقل الأموال إليها. هذا جزء من استراتيجيتنا لعزل الفلسطينيين في غزة عن الفلسطينيين في الضفة الغربية»⁵¹. هذا يشير إلى سذاجة أطول رؤساء وزراء إسرائيل خدمةً في نظرته إلى أفراد فصائل المقاومة، وتحديدًا حماس، على أنهم أغبياء مفيدون، وأنه يمكنه دفع الفلسطينيين إلى أن يتحاربوا داخلياً، بدلاً من التوجّد ضد الاحتلال الإسرائيلي. استناداً إلى هذه السردية، أقنعت الحكومة

47 "رمضان خلفنا 10 ملايين قتيل و30 مليون مشوه!"، آر تي العربية، 2023/6/28، شوهد في 2023/11/20، في: <https://tinyurl.com/47ntjaev>

48 Bar Peleg & Yaniv Kubovivh, "Shortly Before Hamas Attacked, a Warning Arrived. What Happened at This Crucial Outpost?" *Haaretz*, 27/12/2023, accessed on 17/1/2024, at: <https://tinyurl.com/yc4vp9ft>

49 Ronen Bergman, "Israel Knew Hamas's Attack Plan More Than a Year Ago," *The New York Times*, 2/12/2023, accessed on 13/2/2024, at: <https://tinyurl.com/34kryecp>; Mark Mazzetti, Ronen Bergman & Maria Abi-Habib, "How Years of Israeli Failures on Hamas Led to a Devastating Attack," *The New York Times*, 29/10/2023, accessed on 13/2/2024, at: <https://tinyurl.com/4aetfzsf>

50 "October 7 | Al Jazeera Investigations," Al Jazeera English, YouTube, 20/3/2024, Minute: 13:00-15:30, accessed on 20/3/2024, at: <https://tinyurl.com/4fnmc98s>

51 "Netanyahu Bears Responsibility for This Israel-Gaza War," *Haaretz*, 8/10/2023, accessed on 15/12/2023, at: <https://tinyurl.com/mrwpb6em>

نفسها بأنها قادرة على السيطرة على حماس، وأن العمليات العسكرية الدورية المسماة «جز العشب»⁵² ستترك حماس ضعيفة جدًا، حيث لا تُشكّل تهديدًا كبيرًا على أمن إسرائيل، لكنها تبقى قوية بما يكفي للاستمرار في تحدي ادّعاءات بأن حركة فتح تمثل جميع الفلسطينيين⁵³. وفي سياق متصل بذكر رئيس وزراء إسرائيل، يمكننا الانتقال الآن إلى السبب الآخر الذي يناقش كيف أدى شلل النظام السياسي وجِدَّة الاستقطاب الداخلي في إسرائيل إلى تشتت انتباه هذا الكيان، حينما كان في أمسّ الحاجة إلى التركيز.

5. الارتباك الأمني والسياسي

أساس أي خدعة سحرية جيدة هو تحويل انتباه جمهور الحاضرين، ليركزوا على شيء آخر بعيدًا عما يحدث بالفعل. ويمكن القول تقريبًا إن هذا ما حققته فصائل المقاومة الفلسطينية في 7 تشرين الأول/ أكتوبر. فبينما كانت الفصائل تستعد لهجوم داخل إسرائيل، كانت الحكومة الإسرائيلية وأجهزة الاستخبارات تركز اهتمامها في مكان آخر في الضفة الغربية، وعلى الحدود الشمالية مع لبنان. المفارقة هنا أنه لم تكن فصائل المقاومة التي نجحت في تحويل انتباه الجميع، بل كانت حكومة نتنياهو الإسرائيلية نفسها⁵⁴. القصة الكاملة طويلة بعض الشيء، لكننا نوجزها بأن الحكومة الإسرائيلية الحالية جاءت إلى السلطة بدعم كبير من المستوطنين المتطرفين في الضفة الغربية، وبطرائق عديدة، يمكنك القول إنها كانت حكومة المستوطنين وتمثل تطلّعاتهم؛ فوزير المالية اليميني المتطرف بتسلئيل سموتريتش، على سبيل المثال، هو من المؤيدين لتوسيع المستوطنات اليهودية لتضم الضفة الغربية⁵⁵. وليس سموتريتش وحده الذي له جذور في هذه المجتمعات الاستيطانية، بل إن مسؤولين آخرين في حكومة نتنياهو لديهم علاقات بالمستوطنين اليمينيين ويؤيدون سرقة الأراضي الفلسطينية لبناء المستوطنات.

بوجود حكومة مساندة لتطلّعات اليمين المتطرف الإسرائيلي الذي يسعى لتوسيع المستوطنات اليهودية في الأراضي الفلسطينية، تصاعد العنف بين المتطرفين اليهود وأصحاب الأرض الفلسطينيين الذين يعارضون بناء المستوطنات على الأراضي الفلسطينية. كانت النتيجة زيادة حادة في العنف في الضفة الغربية، وكانت الحكومة الإسرائيلية مصممة على التدخل أمنياً للسيطرة على العنف. في بداية عام 2022، كان هنالك 13 كتيبة متمركزة في الضفة الغربية. وبحلول حزيران/ يونيو من العام نفسه، تضاعف هذا العدد إلى 25 كتيبة، للتعامل مع العنف المتزايد في الضفة. وهذا يعني أن الآلاف من جنود الجيش الإسرائيلي وعناصر الأمن والاستخبارات جرى نقلهم إلى الضفة الغربية أو إلى مناطق قريبة منها؛ جنود ربما كان في إمكانهم تأمين الحدود مع غزة⁵⁶. ورئيس الاستخبارات العسكرية الأسبق في الجيش الإسرائيلي، أهارون زئيفي فاركاش، كان صريحًا جدًا في تصريحه لصحيفة **واشنطن بوست**، حين قال: «كانت هناك حاجة إلى مزيد من الجنود. فمن أين أخذوهم؟ من الحدود مع غزة، حيث اعتقدوا أن الوضع هادئ؟»⁵⁷. لم يكن تشتت انتباه الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بسبب ازدياد معدلات العنف في الضفة الغربية فحسب، بل إن أجهزة الاستخبارات كانت تقدم إحاطات تؤكد أن أكبر

52 معين رباني، «إسرائيل تجز العشب»، جدلية، 11/8/2014، شوهد في 4/12/2023، في: <https://tinyurl.com/4s27ce3w>

53 Tareq Baconi, *Hamas Contained: The Rise and Pacification of Palestinian Resistance* (California: Stanford University Press, 2018), p. 168

54 Devorah Margolin & Mathew Levitt, "The Road to October 7: Hamas' Long Game, Clarified," *CTC Sentinel*, vol. 16, no. 10 (October-November 2023), accessed on 19/12/2023, at: <https://tinyurl.com/3cbxtneu>

55 Gwen Ackerman, "Israeli Finance Minister Sees West Bank Economy Key to Peace," *Bloomberg*, 22/8/2018, accessed on 28/11/2023, at: <https://tinyurl.com/yb4b25w4>

56 Emanuel Fabian, "IDF Sends 2 more Battalions to West Bank after Series of Settler Attacks," *The Times of Israel*, 25/6/2023, accessed on 28/12/2023, at: <https://tinyurl.com/2txrh5y4>

57 Noga Tarnopolsky & Shira Rubin, "Israel Massed Troops in the West Bank. Then Hamas Attacked from Gaza," *The Washington Post*, 9/10/2023, accessed on 19/12/2023, at: <https://tinyurl.com/mrakyz2e>

تهديد أمني لإسرائيل، في الفترة التي سبقت عملية طوفان الأقصى، كان يأتي من المناطق الحدودية مع لبنان، حيث يحتفظ حزب الله، حليف إيران، بقوة عسكرية كبيرة، تمثل خطراً على أمن إسرائيل القومي.⁵⁸ وهذا دليل آخر على أن التحليلات الاستخباراتية الإسرائيلية لم تكن دقيقة لأسباب ناقشناها، وأسباب أخرى ربما تتعلق بحرفية أجهزة الاستخبارات التابعة لفصائل المقاومة الفلسطينية وتفوقها.

ساهم التركيز على المناطق البعيدة عن غزة، بلا شك، في خلق ثغرات أمنية استغلتها فصائل المقاومة الفلسطينية. لكن هذا لم يكن العامل الوحيد الذي شنت تركيز الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بعيداً عن نشاطات فصائل المقاومة والتحضيرات اللوجستية والعسكرية لهجوم 7 تشرين الأول/أكتوبر. نشير أيضاً إلى مسألة أخرى تتعلق بالفوضى الشاملة التي شهدتها إسرائيل في الشهور التي سبقت عملية طوفان الأقصى. فقد سعت حكومة نتنياهو اليمينية لإحداث تغييرات قضائية كبرى، تسعى لسلب استقلالية المحاكم، وتزيل فعلياً الرقابة والتوازن عن سلطة الائتلاف الحاكم. ليست مزايا هذه الخطة أو عيوبها مهمة هنا، المهم هو أن هذه التغييرات المقترحة قد شنت المجتمع الإسرائيلي. فمُنذ ربيع 2023، تمرّ الدولة اليهودية بأكبر تظاهرات احتجاجية في تاريخها، أثرت في قدرة الأجهزة الأمنية وقوات الجيش على أداء واجباتها.⁵⁹ وأعلن العديد من ضباط الاحتياط وجنوده أنهم لن يلتحقوا بالخدمة، احتجاجاً على سياسات الحكومة وتدخّلها في استقلالية القضاء. ووجد آخرون أن عملهم الدفاعي يُسحب إلى حلبة مصارعة مسيّسة، تُجبرهم على اختيار هذا الطرف أو ذلك.⁶⁰

هذا الاضطراب الذي أضعف فاعلية أجهزة الأمن والقوات العسكرية لم يمرّ من دون ملاحظة. وخرج رؤساء الدفاع وضباط الاستخبارات السابقون ليقولوا علناً إن الأزمة كانت تُضعف قدرة إسرائيل على الدفاع عن نفسها، ومواجهة الأخطار الداخلية والخارجية. وحتى إن بيان الجيش الإسرائيلي قال إنه كان يضرب بالردع. وفي لبنان شعر الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، بالراحة، ليُعلن أن «إسرائيل قوة في المنطقة بدأ يتدهور إيمانها ووعيها وثقتها بنفسها حتى دخلت الأزمة التي تعيشها اليوم».⁶¹ وبينما كانت إعادة تنظيم القضاء مسألة داخلية، سيكون من السذاجة الاعتقاد أن الفوضى لم تلاحظها فصائل المقاومة الفلسطينية، وتحديداً أجهزة استخبارات حماس التي كانت تراقب أوضاع إسرائيل عن كثب. وحتماً قرأت المشهد الإسرائيلي قراءة دقيقة؛ إذ لم يكن المجتمع الإسرائيلي مشتتاً ومشغولاً ومنقسماً، كما كان في الشهور التي سبقت عملية 7 تشرين الأول/أكتوبر. وهو تشتت يمكن أن يكون قد سرّع قرار تحديد موعد تنفيذ عملية طوفان الأقصى، من دون أن تتفطن له أجهزة الأمن والاستخبارات الإسرائيلية.

متى نسمع ونقرأ الرواية الإسرائيلية التي تُفسر هذا الفشل الاستخباري الكبير؟ في معرض إجابته عن سؤال وجّه إليه عدد من الصحفيين عن أسباب الإخفاق الاستخباري الإسرائيلي في التنبؤ بهجوم 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، قال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، الأدميرال دانيال هاغاري، «نقاتل أولاً، ثم نُحقّق».⁶² وهو ما يعني أن المعلومات المتوافرة لدى الحكومة والأجهزة الأمنية الإسرائيلية غير مكتملة. وعلى الأغلب، سوف تمر شهور طويلة قبل أن يبدأ البحث عن أسباب هذا الفشل الاستخباري الذي لن تتعافى منه أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية أعواماً، وربما عقوداً، مقبلة.

58 Hanin Ghaddar, Assaf Orion & Matthew Levitt, "Israel-Lebanon Border Tensions: Hezbollah Provocation, IDF Response, and the Potential for Conflict," Washington Institute, 25/8/2023, accessed on 17/10/2023, at: <https://tinyurl.com/3e7yjnbc>

59 Yossi Mekelberg, "When Netanyahu falls, Israel's Democracy will Need New Political Realignment," Chatham House, 17/1/2024, accessed on 1/3/2024, at: <https://tinyurl.com/jtndz2jc>

60 Dan Williams, "Thousands Rally, Israeli Reservists Step Up Protest against Judicial Change," Reuters, 19/7/2023, accessed on 1/11/2023, at: <https://tinyurl.com/3c85x6bk>

61 "حسن نصر الله يعلق على الاحتجاجات التي تعم إسرائيل: تمضي على طريق الانهيار"، **سويتنيك عربي**، 2023/7/25، شوهد في 2023/11/29، في: <https://tinyurl.com/bdh5kmam>

62 Judith Miller, "First We Fight, Then We Investigate," City Journal, 9/10/2023, accessed on 19/10/2023, at: <https://tinyurl.com/4t37vhx2>

خاتمة

حتى بعد مرور أكثر من سبعة شهور تقريباً على بدء عملية طوفان الأقصى، بكل تداعياتها الأمنية والسياسية والإنسانية، ما زلنا نتعامل مع معلومات محدودة عن أسباب فشل إسرائيل الاستخباري. لدينا أجزاء محدودة من صورة لا يمكننا رؤيتها بوضوح، لكنها أجزاء كبيرة بما يكفي لنرى حجم الفشل الاستخباري الذي حدث.

تؤكد قراءة تفاصيل تنفيذ عملية طوفان الأقصى، بما لا يقبل الشك، أن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية لم يكن لديها معلومات مسبقة عن خطط تنفيذ العملية وتوقيته، وتعرضت لمفاجأة استخبارية هي الأسوأ في تاريخ المجتمع الاستخباري الإسرائيلي. في الوقت نفسه، دفعت الأجهزة الأمنية والعسكرية ثمناً مباشراً في الأرواح والمعدات، وخرقاً لمنظومتها الاستخبارية؛ فقد استحوذت فصائل المقاومة على معلومات من القواعد العسكرية الإسرائيلية، بأخذ حواسيب وأنظمة تخزين المعلومات، أو من خلال أسر عدد من ضباط الجيش والاستخبارات والتحقيق معهم. ومن بين الآثار غير المباشرة لهذا الفشل الاستخباري زعزعة الثقة داخلياً وخارجياً بحرفية المجتمع الاستخباري، وقدرته على حماية أمن إسرائيل وحماية المعلومات الاستخبارية التي تشاركها أجهزة استخبارات الدول الحليفة معها. هذا إضافة إلى تآكل صورة قوة الردع الإسرائيلي التي حافظت عليها منذ سبعينيات القرن الماضي إقليمياً.

تخلص هذه الورقة إلى أن الفشل الاستخباري الذي فُتيت به إسرائيل صبيحة 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 كان نتيجة حزمة عوامل بنيوية متراكمة، وجوّ سياسي مُرتبك، وإخفاقات فردية، عوامل تضافرت لتعصف بنمر الورق الاستخباري الإسرائيلي. فكان الاعتماد المفرط على التكنولوجيا، والخطرة المصحوبة بالاستهانة بالخصم، والثغرات المذهلة في قراءة المعلومات الاستخبارية وتحليلها ونيّات فصائل المقاومة الفلسطينية، وسلسلة القرارات الفردية الخاطئة وتزامن كل هذه الأسباب مع ارتباك سياسي وتشتت أمني سبق تنفيذ عملية طوفان الأقصى، أسباباً مجتمعة كافية لحدوث الفشل الاستخباري الأسوأ في تاريخ إسرائيل.

داخلياً، تسعى الأطراف الإسرائيلية السياسية المتنافسة لتسييس تفسير عملية الفشل في 7 تشرين الأول/ أكتوبر، بصورة ملحوظة في ظل الصراع القائم بين الفاعلين السياسيين وأجهزة الأمن الإسرائيلية؛ إذ يسعى نتنهاو لتفسير الفشل من زاوية استخبارية تقنية بحتة، وهو ما يمكن استقراؤه من تسريبات وسائل الإعلام المحسوبة عليه بشأن عجز الجيش والاستخبارات عن التعامل مع تهديد حماس. ومن بين هذه التسريبات ما نقلته **القناة 14**، المحسوبة على اليمين المتطرف، أن الأجهزة الأمنية والجيش لم يتمكّن من تحليل البيانات ذات القيمة الاستخبارية العالية التي حصلوا عليها من مئات شرائح الاتصال الإسرائيلية في ليلة 7 تشرين الأول/ أكتوبر وعدم إبلاغ حكومة نتنهاو بذلك.

تداعيات الفشل الاستخباري الإسرائيلي مستمرة حتى تاريخ كتابة هذه الورقة، فقد قدّرت أجهزة الاستخبارات وعناصرها أن «أغلب طرق عمل حماس التي عكفت على إعدادها لسنوات تضررت وحُدّدت [...] استطعنا فك شفرة شبكة أنفاق غزة. بمجرد أن تعرف مكان أحد قادتهم تحت الأرض تستطيع مهاجمته. ضُمت حماس لتحارب لستين يوماً فقط»⁶³. من الواضح أن فصائل المقاومة، ومن بينها حماس، مستمرة في القتال منذ أكثر من سبعة شهور، وأن شبكة أنفاقها أكبر كثيراً مما تخيلته أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، وأن قيادات الفصائل الميدانية ما زالت تدير المعارك، وأن قدرات الفصائل الصاروخية ما زالت تعمل وفعالة إلى حدٍ بعيد⁶⁴.

مهما يكن ما يحمله المستقبل، لا شك في أن 7 تشرين الأول/ أكتوبر سيبقى التاريخ الذي لن تنساه إسرائيل ما بقيت. إنه اليوم الذي تهاوت فيه النرجسية الإسرائيلية فجأة، وأعاد تذكير مستوطنيتها بأن الاحتلال الإسرائيلي

63 "سنوات الغطسة ... محتوى وثائق سرية إسرائيلية عن حماس"، الجزيرة، 2024/3/13، شوهد في 2024/3/20، في: <https://tinyurl.com/55j2xuap>

64 Seth Frantzman, "Hamis Launches Rockets at Major Israeli Cities," *Long War Journal*, 25/3/2024, accessed on 26/3/2024, at: <https://tinyurl.com/mneub9ku>

للأراضي الفلسطينية يمكن أن يزول، وأن نظام الفصل العنصري غير قابل للاستدامة. بعدما يستقر غبار الحرب أخيراً، ستكون هناك فرصة لمعرفة ما حدث بالفعل بأكثر دقة، واستخدام هذه المعرفة لدراسة قوة إسرائيل الفعلية وتكوين فهم معمق لدى أجهزة الاستخبارات في الدول العربية والإسلامية لما يعنيه ذلك بالنسبة إلى الدول التي ترى في إسرائيل عدوًا أو خصمًا، وتلك الدول التي كانت ترى أن أجهزة الأمن والاستخبارات الإسرائيلية لا تقهر، وأنها الأقوى في المنطقة، وربما في العالم.

المراجع

العربية

أبو عامر، مجد. «قتال الأشباح: الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية تجاه أنفاق المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة». **ورقة استراتيجية رقم 11**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2023/11/30. في: <https://tinyurl.com/3ah9fv8r>

حسين، أحمد قاسم. «كيف سيطرت كتائب القسام على 'فرقة غزة'؟ الأداء القتالي للمقاومة الفلسطينية ومعركلات العمل العسكري الإسرائيلي البري». **تقييم حالة**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2023/10/29. في: <https://tinyurl.com/47cuart6>

رباني، معين. «إسرائيل تجز العشب». **جدلية**. 2014/8/11. في: <https://tinyurl.com/4s27ce3w>

عاشور، عمر. «من السلاح إلى السلام: التحوّلات من العمل السياسي المسلّح إلى العمل السياسي السلمي». **ورقة استراتيجية رقم 1**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/8/13. في: <https://tinyurl.com/3ffx7w8c>

_____ . «تصاعد الفاعلية القتالية للتنظيمات المسلحة في العالم العربي وخارجه». **ورقة استراتيجية رقم 2**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/8/17. في: <https://tinyurl.com/4kknrh5r>

«ملف خاص: القسام خلال ثلاثين عامًا». **الميدان** [مجلة دورية تصدر عن كتائب الشهيد عز الدين القسام]. العدد 3 (كانون الأول / ديسمبر 2017).

نصار، يارا. «خلف خطوط العدو: الفاعلية القتالية لعمليات تسلل كتائب القسام في قطاع غزة». **ورقة استراتيجية رقم 13**. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2024/1/8. في: <https://tinyurl.com/bdm7vnw6>

الأجنبية

Baconi, Tareq. *Hamas Contained: The Rise and Pacification of Palestinian Resistance*. California: Stanford University Press, 2018.

Bar-Joseph, Uri & Avner Cohen. "How Israel's Spies Failed - and Why Escalation Could Be Catastrophic." *Foreign Policy*. 19/10/2023. at: <https://tinyurl.com/y9s2hhu9>

Barucija, Admir. "The Historical Evolution of Israeli Intelligence." *American Intelligence Journal*. vol. 37, no. 1 (2020).

Burgess, Matt & Lily Hay Newman. "Israel's Failure to Stop the Hamas Attack Shows the Danger of Too Much Surveillance." *WIRED*. 8/10/2023. at: <https://tinyurl.com/364vhnk8>

Byman, Daniel et al. "Hamas's October 7 Attack: Visualising the Data." The Center for Strategic and International Studies (CSIS). 19/12/2023. at: <https://tinyurl.com/4jw7bpmm>

Frantzman, Seth J. "New Tech Plays Role in Gaza War, but not to Level Israel Once Envisioned." *Breaking Defense*. 13/11/2023. at: <https://tinyurl.com/5n6kee82>



- _____. " Hamas Launches Rockets at Major Israeli Cities." *Long War Journal*, 25/3/2024. at: <https://tinyurl.com/mneub9ku>
- Friedman, Matti. "Israel Is Dangerously Dependent on Technology." *The Atlantic*. 13/12/2023. at: <https://tinyurl.com/7ptbw4sx>
- Ghaddar, Hanin, Assaf Orion & Matthew Levitt. "Israel-Lebanon Border Tensions: Hezbollah Provocation, IDF Response, and the Potential for Conflict." Washington Institute. 25/8/2023. at: <https://tinyurl.com/3e7yjnbcb>
- Hoover, David L. "A Failure of Imagination in the U.S. Intelligence Community." *American Intelligence Journal*. vol. 31, no. 1 (2013)
- Kober, Avi. "From Heroic to Post-Heroic Warfare: Israel's Way of War in Asymmetrical Conflicts." *Armed Forces & Society*. vol. 41, no. 1 (2015).
- Margolin, Devorah & Mathew Levitt. "The Road to October 7: Hamas' Long Game, Clarified." *CTC Sentinel*. vol. 16, no. 10 (October-November 2023). at: <https://tinyurl.com/3cbxtneu>
- Mekelberg, Yossi. "When Netanyahu falls, Israel's Democracy will Need New Political Realignments." Chatham House. 17/1/2024. at: <https://tinyurl.com/jtndz2jc>
- Miller, Judith. "First We Fight, Then We Investigate." *City Journal*. 9/10/2023. at: <https://tinyurl.com/4t37vhx2>
- Ching, Tao Teh & Hua Hu Ching. *The Complete Works of Lao Tzu*. Taoist Master NI, Hua-Ching Ni (trans.). revised ed. Los Angeles: Sevenstar Communications, 1995.
- Zilber, Neri. "Israel and Gaza Keep Up Their Precarious Dance." The Washington Institute for Near East Policy. 9/8/2022. at: <https://tinyurl.com/3jd2mbkf>